قصة ألبانية :

المهـــد الذهبي

[مهداة للأستاذ الكبير كامل كيلاني]

نقلها الأديبان :

وهبي اسماعيل حقي وابراهيم خير الله

— ٣ —

اتجه الشابان إلى المقهى الذي اعتادا الجلوس عليه ، وقبل أن يصلاه قابلهما صديقهما « شفيق حامد » ومر بهما دون أن يحييهما ، فظنا أنه لم يرهما ، أو أن شاغلا شغله عنهما ، ثم إنهما انتحيا في المقهى ناحية خالية من الناس واتخذا مقعدين متقابلين وبعد صمت لم يدم طويلا قال فريد :

— لا يعلم إلا الله وحده أين أكون بعد شهر من هذا التاريخ ؟

— من الرأي ألا تبرح المدينة إلا إذا دعت ضرورة ملحة.

— وهل أنا مجنون ؟ كيف لا أبرحها وعندي جبل من النقود ؟

— لا تبرحها لترى أولا مقدار النقود التي ستحصل عليها من هذا الكنز .

— إنها عدة ملايين على أقل تقدير .

— ما دمت تريد الملايين يجب أن تظل هنا مؤقتا .

— أظل هنا لأخرج كل يوم إلى المتجر وأقضي نهاراً متعبا في البيع والشراء كما كنت قبلا ! إن ذلك لن يكون .

— أمهلني لأتم حديثي . يجب أولا أن تعرف قيمة الآثار المادية ، ثم يجب ثانياً أن تبحث عن طريقة لبيعها ، فإذا ما تم ذلك وأصبحت النقود معك فيجب ابقاء عليها من الضياع أن تضع مقداراً كبيراً منها في بنوك سويسرا وانجلترا ، ومن النقود الباقية يجب أن تنشيء معهداً خيريا يعلو به ذكرك ، ويخلد اسمك .

— نعم ! في مقدمة مشروعاتي أن أعمل شيئاً خدمة للوطن وليكن معهداً كما تقول للتعليم بالمجان .

— معهد خيري لتعليم المواد المختلفة ويتبعه مستشفى لمعالجة الفقراء ، وتجلب لها كبار العلماء ، ومشاهير الأطباء في العالم ، عدا من يقع عليهم الاختيار من أبناء الوطن المبرزين ، وتدفع لهم أجوراً طيبة .

وماذا أيضاً ؟

— تربث لحديثي لما ينته ، ثم تنشيء أيضاً ملجأ للعجزة والمنوزين الذين نكبهم الدهر في أنفسهم وأهليهم ... وتؤسس مكتباً للمحاماة يضم أشهر المحامين ليقوموا بالدفاع عن أولئك الفقراء الذين تضيع كثير من حقوقهم لجهلهم بالقضايا وعدم ترددهم على المحاكم . وتلحق بهذا المكتب داراً للكتب ! ولكن اترك لي أنا هذه الأخيرة فإني أريد أن أقوم بها .

— لماذا ؟ — هل تريد أن تعمل أنت الآخر شيئا ؟ قال فريد هذه العبارة بتعجب رداً على استدراك صديقه كأنه لم يرقه . فأجابه محمود :

— نعم ! أريد أن أخلد أنا الآخر اسمي ولكن ذلك يتوقف على المقدار الذي ستتنازل لي عنه ، فإن كان كثيراً فسأقوم أنا أيضاً بتأسيس معهد آخر .

— ومن أي أنواع المعاهد يكون هذا المعهد ؟

— معهد ثقافي أجمع فيه علماء اللغة ، وأقوم بطبع مجلة شهرية ، وأدون مفاخر الألبان وقصص القدماء وأشعارهم وأغانيهم وعاداتهم بحيث لا أترك بقعة من بقاع ألبانيا إلا سردت تاريخها وطبائع أهلها ، وكل ما مر بها ، وأخرج كل ذلك في كتب مفيدة ، وأكافيء مؤلفيها أحسن مكافأة تشجيعاً وحثاً على الاستزادة ، وسأؤلف لجنة تقوم بتصحيح وطبع القواميس وترجمة كتب من عيون الأدب العالمي ، وسأنشيء داراً عظيمة للكتب

وصالة عظيمة للمحاضرات .

— هذا حسن ، وستقوم به إن شاء الله .

ثم إنه يلزم تكوين بعثة من رجال ممتازين ممن تفوقوا فى مدارسنا لإرسالها إلى الخارج لتتخصص فى الفنون التى ستقوم معاهدنا بتعليمها . وفى هذه اللحظة دخل المقهى صديقهما شفيق حامد وتلفت عن يمينه وعن يساره وأمامه وخلفه كأنه يبحث عن شخص بعينه ، ولما وقع نظره على فريد ومحمود اقترب منهما فحياهما وسألهما عن السيد لطفى فأجابا أنهما لم يراه فاستأذنهما وخرج يواصل البحث عنه ، ولم تمض بضع دقائق على خروجه حتى دخل السيد لطفى يتلفت هو الآخر ولما مر بجانبهما قال له فريد : لقد كان هنا منذ قليل « شفيق » يبحث عنك .

— وإلى أين ذهب ؟ . ألم يقل لكما ؟

— لا ندرى ! فقد خرج دون أن يقول إلى أين ذاهب ؟

— لعله يرجع ، فإنى متعب من البحث عنه ، ثم أدنى كرسيه منهما وقال : هل لديكما ما يمنع من أن أتشرف بالجلوس إليكما فقالا له :

— تفضل فليس أحب لدينا من ذلك .

خلع السيد لطفى معطفه ووضعه فوق مسند الكرسى ثم جلس مع الشابين تبدو عليه مظاهر الحزن ودلائل التفكير مما حمل فريدا ومحمودا على سؤاله.

— ماذا عندك ؟ وفيم تفكر ؟

— لا شىء ، فلم يجد للآن جديد وإنى أعتقد أنه بعد قليل من الزمن سيكون لدينا أخبار جديدة مهمة .

— وهل تعتقد أن شيئاً مهماً سيحصل ؟

— أقصد أخباراً شخصية خاصة لا مصلحية عامة .

— طبعاً ، إنك تعرف أننا نحب أن نسمع عنك كل خير ونتمنى لك كل سعادة .

— أعرف ذلك جيداً وأشكركما .

— على كل حال فإننا نهنئك مقدما بما تنتظر من خير .

— آه ! لو تعرفان ما ذا أنتظر ؟ ثم رأى صديقه شفيقا قد دخل من باب المقهى فقال لهما : هذا هو شفيق ؛ وناداه فاقترب منهم وقال للسيد لطفى : أين كنت ؟ فقد فتشت عنك كثيراً ، إنى أريد أن أحدثك على انفراد فى موضوع هام .

— انتظر قليلا حتى أشرب الشاى فقد أوصيت عليه .

— المسألة مهمة ، لا تحتمل الانتظار ، فاعتذر السيد لطفى للشابين ولبس معطفه وخرج مع شفيق .

قال فريد لصاحبه ضاحكا ماذا بهما ؟

— قد سمعت إنه يقول : أعمال خصوصية ، ولست أدرى ما ذا يريد بها ؟

— لا يبعد أن يكون قد التحق بوظيفة ؛ فإنه يسعى لهذا من زمن بعيد ، وأنا أعلم أن حاله سيئة جداً .

— مسكين والله ؛ فقد كانت أسرته من أغنى الناس ، وكانوا جميعاً يرتعون فى بحبوحة النعيم ولكن ! هى الأيام .

— يقال فى المثل : ارحموا عزيز قوم ذل ، فإن مصيبته أكبر من مصيبة من لم يذق للعز طعما .

— لقد باعوا كل شىء بالزاد ؛ فقد كانت بيوتهم مجاورة لبيوتنا ... وبعد فترة سكوت قصيرة رجعا إلى ما كانا فيه من حديث قبل مجىء السيد لطفى ، فأخذا يتباحثان فى أحسن الوسائل وأنجح الطرق لإنفاق هذه الأكداس المكدسة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ...

ولما دقت الساعة الثامنة خرجا من المقهى وفى الطريق دعا فريد محموداً للمبيت معه فى منزله ، ولكن محموداً اعتذر ؛ فقد شم من بعيد أن والد صديقه قد ثقل عليه أن يراه مع ابنه فى البيت . وقال لفريد . سنتقابل فى الصباح المبكر ؛ ثم افترقا بعد أن تمنى كل منهما لصاحبه ليلة سعيدة .

عند ما وصل فريد إلى منزله قصد إلى حجرة والدته التى كانت مريضة مرضاً مزمناً من سنوات مرت ، وليست تستطيع أن تفارق الفراش ولا أن ترى الوقد غير مشتعل ليلا أو نهاراً ، وكان فريد يقضى معها بعض الوقت كل يوم فى الصباح قبل الخروج إلى المتجر وفى المساء بعد العودة منه ، ولما رأته فى هذه الليلة والسرور يشع من قسمات وجهه قالت له بعد أن صرفت الخادم التى تقوم بشئونها : لقد أخبرنى والدك بما حدث فهل أنت مسرور ؟ فرد عليها بصوت تعمد أن يكون رزيناً هادئاً فقد ضبط شعوره حتى لا تتأثر والدته ... نعم أنا مسرور جداً ؛ فإن الحظ قد ابتسم لنا وأصبحنا نستطيع أن نمد يد المساعدة للآخرين . وأنت ماذا قلت عند ما بلغك الخبر ؟ . فابتسمت ابتسامة لطيفة وإن ظل بريق الحزن المكبوت فى قلبها يشع فى عينيها ؛ فقد كانت محرومة من كل نعيم فى الدنيا ، وقد علمها المرض أن التقديس لا يكون

إلا للكنوز المعنوية وهي العمل الصالح الذي ستلقاه شفيعاً لها أمام الله يوم الضيق ، والضنك ، يوم القيامة ولذلك أجابت :

— لم أقل شيئاً ! وإنما سررت كثيراً جداً من أجلك أنت .

فقال بصوت امتلأ حناناً وعطفاً وإجلالا وتقديراً : سيكون أول عمل أبدأ به أن أرسل في طلب أشهر الأطباء العالمين المتخصصين ليقتلع جذور هذا الرض الوبيل من جسمك الطاهر . فأخذت يده في يدها وجعلت تضغط عليها تعبر بذلك على أنها سعيدة بسعادته وأنها تتمنى له كل خير ...

غادر فريد حجرة والدته ، وعطف إلى حجرة المائدة فوجد والده يتناول عشاءه وهو عبوس الوجه ، مقطب الجبين ، شارد اللب ، مبلبل التفكير ، ورد تحية ابنه بصوت ضعيف حزين ، ثم خيم سكون شامل ، لم يكن يقطعه إلا رنين الشوك والملاعق وخشخشة السكين في الأطباق ، وإن فريداً — وقد تناول عشاءه مع بيرام ومحمود مبكراً — جلس ساجي الطرف ، مطرق الرأس متحيراً ، لا يدري السر في حزن والده المفاجيء ، ولا يعرف من أين ولا كيف يبتدىء الحديث معه ؛ فقد انسدت عليه مسالك القول من هذا الجو القاتم ، ولم ير من المستطرف أن يغادر المكان دون أن يتكلما في الموضوع على انفراد ليكونا طليقين .. وأخيراً وبعد صمت طويل قال الوالد في تأثر ظاهر : كان يسرني أن تكون أبعد نظراً ، وأسد رأيا ، وأكثر حكمة ، فلا تقع في هذا الخطأ الذي وقعت فيه فإن قعودك عن مرافقة القروي إلى الكهف قد يفوت عليك الفرصة ، ففي المثل « إذا خرج الطير من الوكر فإن القبض عليه ثانية مصادفة قد لا تكون » . وها هي السيارات تحت تصرفك فلم لم تركب إحداها وتذهب معه ؟ ألا تخشى أن يذهب القروي إلى غيرك ؟

— لست أعتقد ذلك ، فقد خرج شاكراً لأني أعطيته جنيهين

— وهذا أيضاً تصرف سيء ؛ فإن جنيهين مبلغ لا يغري كان الواجب أن تعطيه خمسة على أقل تقدير .

— إنه غير محتاج ؛ فقد سألته عند انصرافه أن يأخذ غيرها فرفض .

سكت التاجر لحظة والغضب يشيع في وجهه ، ثم قال في شيء من الحدة : ولماذا أطلعت محموداً على هذا الموضوع ؟ ألا تعلم أنك بهذا العمل قد برهنت على قصر نظرك ، وقصور عقلك ، وعقم تفكيرك ، وأن محموداً سيطالب هو الآخر بمثل نصيبك في هذا الكنز ؟ ولن تستطيع أن تدافع عن أحقيتك منه ... فنكس فريد رأسه ولم يقل شيئاً بل جمد في مكانه يستمع إلى والده وهو يقول : أتستبعد أن يتسلل محمود في هذا الوقت إلى القروي ويعرض عليه شروطاً أسخى ؟ وطبيعي لا يرفض القروي ، بل إنه يرحب به ويغساك وينسى هذه الساعات التي قضاها معك هنا ... إنك دائماً لا تحسن التصرف في الأمور التي تتولاها وأنا غائب ! فرفع فريد رأسه وعارض والده فيما نسبه لصديقه وقال له في قوة : لا يا والدي ! إن محموداً لا يفكر في مثل هذا .

— يا بني ، مثل هذه الأعمال يجب على الإنسان أن يخفيها حتى عن أقرب الناس إليه ، فقديما قيل : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وأنت لا زلت فتى غراً ، قليل الدراية بأخلاق الناس ومعاملتهم ...

— إني يا والدي لم يصادفني مثل إخلاص محمود ولا مثل مروءته وحفظه لحقوق الزمالة .

— قد يكون ما تقول حقا ، ولكن على الإنسان أن يحتاط لنفسه . ثم ساد بينهما الصمت حتى فرغ الوالد من طعامه وقال: متى يأتي القروي ؟

— سيأتي في منتصف هذه الليلة .

— إذن عليك أن تنتظره حتى يجيء بالعينات لتراها وتعمل حسابا مبدئياً لما قد تحصل عليه من مكسب . فإنه قبل الشروع في العمل يجب أن نتعقل ونتروى ؛ لأن أقل خطأ يتركنا صفر اليدين . وإن عليك ألا تسير خطوة واحدة في غير الطريق التي أرسمها لك ، فالآثار ذات القيمة يلزم نقلها على الخيل أو السيارات أولا وإخفاؤها في الدور الأسفل من هذا المنزل ، وإن كان في الأزيار نقود — كما أعتقد — فإنه لا بد من سفرك إلى الخارج لتبيعها على دفعات متواليات .. وأما الأشياء الأخرى فما نستطيع تصريفه منها نبقيه وما لا نستطيع تصريفه نرسله إلى الخارج أيضاً

— هذه يا والدي عملية شاقة تحتاج — كما تقول — إلى كثير من التبصر والحكمة .

— نعم يا بني ! ومن أجل ذلك فإن المكسب سيكون عظيما وسيعيننا على توسعة تجارتنا وإنشاء متجر كبير لنا في « تيرانا » العاصمة ... إنك لم تقص على ما اتفقت عليه مع بيرام ، وماذا يكون نصيبه من المكسب ؟

— لقد اتفقت أن نبذل له معونتنا ، وأن نقتسم ما نحصل عليه مناصفة .

— أبك جنون ؟ كيف تتفق معه هذا الاتفاق ؟ ولكن لا بأس ! فسأعرف كيف أرضيه . إن مائتين من الجنيهات تفرغها فى جيبه — بعد أن تنقل من الكهف كل شىء مبلغ لن يحلم به ولن يقدر أنه سيحصل عليه . فقال فريد : وماذا تعطى محموداً ؟

— إنك قد أدخلت محموداً فى هذا الموضوع من غير داع، وهذا خطأ كبير، فلنترك له تماثيل الأحجار، واللوحات المكتوبة وليذهب بنفسه ليأخذها بعد أن ننتهى من بيع الأشياء الأخرى

— قد يكون ثمن التماثيل واللوحات أكثر من ثمن تلك الأشياء ؟

— إن ذلك هو الواقع ! ولكن من المستحيل تهريبها خارج القطر ، ثم إن الحكومة ستعلم — إن عاجلا وإن آجلا — بشأنها وتستولى عليها ، والمهم أن ننجو نحن بما نريد .

مكث التاجر مع ابنه طويلا يتحدث إليه فى هذه المسألة وكان كل هم الوالد أن يؤسس لها تجارة جديدة فى « تيرانا » وفى العاصمة الثانية « دورس » أكبر موانى ألبانيا . ولكن « فريداً » كان غير مرتاح لهذا الرأى فكان إذا أبداه والده اعتصم بالصمت ، وقد كان من رأيه أن التوسعة فى التجارة لا فائدة منها ما دامت لديهم هذه الكثرة من النقود ... ثم إن « السيد عفت » أوى إلى فراشه وترك ابنه فى انتظار « بيرام » فقام « فريد » إلى الموقد — وكانت ناره قد خبت — فأشعله ، وجلس بجانبه يتصفح جريدة صباحية ؛ إذ لم يكن إلى هذا الوقت قد استطلع الأخبار ؛ ولكنه عجز أن يحصر انتباهه فى الجريدة فقد كان بعيداً بعقله عنها وعن كل ماحوت . وإن عينيه لم تغادرا السطر الأول ؛ فقد احتلت اقتراحات محمود بؤرة شعوره ، وسيطرت على تفكيره ؛ فرأى نفسه على رأس معهدين كبيرين ومشى وراء خياله فى تلك الشوارع الواسعة التى ضمت المؤسسات الخيرية التى أنشأها ، وتحدث كرئيس أعلى لتلك المؤسسات إلى كبير الأطباء ، ومديرى المعاهد ، وأمناء دار الكتب ، وإلى المؤلفين ، وإلى غيرهم من الموظفين الذين يأتمرون بأمره ؛ فكانوا جميعاً يحوطونه بهالة من الإكبار والإجلال ، كسباً لعطفه ، واغتناما لمودته ، ثم طار فى عالم اللذات فرأى أن المؤسسات تحت رعاية طبية لا تحتاج إلى الكثير من عنايته ، وأن فى استطاعته أن يقوم بسياحات واسعة فى أوربا ، وأمريكا ، وأفريقية ، ليتمتع نفسه تمتع من يملك مثل ثروته . وإنه لفى هذه الأحلام اللذيذة وإذا بأجراس الكنيسة تعلن انتصاف الليل فتدق اثنتى عشرة مرة ، فاهتز جسمه ، واضطرب قلبه ، وأرهفت حواسه ، وانقطعت سلسلة أفكاره ؛ فقد اقترب موعد « بيرام » ... ولقد طغت عليه موجة من الخوف والحزن كادت تعتصر قلبه ، وتسلبه شعوره ، حينما دقت الساعة الأولى بعد منتصف الليل ، فأخذ يدور فى الحجرة فى غير وعى؛ وظل هذا حاله إلى أن دقت الساعة دقتين فتاب إليه بعض الرشد وقصد إلى حجرة الأضياف وأطل منها على الطريق غير عابىء بقارس البرد ؛ فإن حرارة جسمه ، وثورة غضبه ، وإشفاقه من أن يتحكم فيه سوء الطالع وتلعب به يد الأقدار ، جعلته فى حالة لا يحس معها برداً ...

أمسكت السماء عن المطر ، وانجابت السحب فى بعض الأماكن ، وأرسلت النجوم من عليائها على الأرض ضوءاً خافتاً ضعيفاً ، ومضى الوقت وئيداً وئيداً ، واشتد الحزن بفريد شيئاً ؛ فشيئاً ؛ فملأت الدموع عينيه وضاق به المكان ، فرجع ثانية إلى حجرة المائدة ، ووقف بجوار الموقد — وقد نسى أن يضع عليه وقوداً — جامداً كالتمثال ، إلى أن طلع الفجر ، واستنار الكون فأيقن أن رجاءه قد خاب ، وأن أمله قد ضاع لأن « بيرام » لم يرجع .

(يتبع)

إدارة البلديات — مباني

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٥ أبريل سنة ١٩٤٦ عن توريد ٨٢٠ طن حديد مبروم لأعمال الخرسانة المسلحة

وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ١ جنيه خلاف مصاريف البريد .

٥٠٤٢

كليـــوبترا

فى خان الخليلى

تأليف

محمود تيمور

قصة اجتماعية عصرية مطولة — صدرت وتطلب من الناشر :

مكتبة الخـــانجى

شارع عبد العزيز رقم ١١ بالقاهرة : ت ٤٣١٤٨

الثمن ٣٠ قرشاً

سكك حـــديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية التى تنشدها كل من يرمى إلى التوسع فى أعماله وكل تاجر يسعى إلى رواج تجارته .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالإدارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)